مستقبل مصر الاقتصادى

للأستاذ عيسى متولى

تبشر الأدلّة الكثيرة بما ينتظر مصر من تطوّر اقتصادىّ شامل بعد الحرب ، و بأهمية مكانتها الاقتصادية فى العالم الجديد . فقد أهّلتها الظروف لتبوء مركز اقتصادىّ ممتاز له أهميته وله أثره فى تغيير مجرى الحياة الاقتصادية فيها ، وتنمية مواردها ، و إنعاش أسواقها ، فوق ما تتمتع به من سمعة مالية طيبة ، وما لها من مكانة ملحوظة فى دنيا الاقتصاد ؛ بفضل موقعها الجغرافى ، الذى جعل منها مركز اتصال هام بين الشرق والغرب ، وهى بجانب ذلك قطر زراعى ، غنى بإنتاجه ووفرة حاصلاته .

ولقد مهدت ظروف الحرب لإبراز شخصية هذا القطر من وجوه كثيرة ، فأصبحت مصر ملتقى أنظار الدول ، وعقدت بها الاجتماعات السياسية ودارت المشاورات الهامة بين أقطاب السياسة وقادة الأمم ، فرحبت بقاصديها من أبناء الشعوب المختلفة ، وممن نزل بها من أصحاب التيجان ؛ وقدمت للأمم المتحالفة شتى المعونات ؛ واحترمت ما ارتبطت به من عهود ومواثيق احتراما أجمعت الدول على تقديره والإشادة به ، فى وقت نقضت فيه المواثيق ، وضرب بها عرض الحائط ، وخولفت المعاهدات ولما يجف مدادها ... وتخلصت من ربقة الدين الأجنبى "بتحويله" إلى دين وطنى ، فمحت من جبينها وصمة لازمتها أجيالا طويلة .

كل هذه العوامل ساعدت على إبراز شخصية مصر الاقتصادية بقدر ما ساعدت على إبراز شخصيتها من الناحية السياسية والاجتماعية ، وقامت دليلا على أن مصر قمينة بأن تتبوأ المركز المالى الذى يليق بمكانتها ، فتصبح عاصمتها مركزا دوليا لا يقل أهمية عن لندن أو "نيويورك" .

* * *

نعود بعد تلك المقدمة لنتبين مدى التطوّر الذى أحدثته الحرب فى حياتنا الاقتصادية ، فنرى أنها تناولت معظم نواحيها ، فمن الناحية الزراعية ، نجد أن ظروف الحرب أرغمتنا على تنويع حاصلاتنا الزراعية بعد أن كنا نعتمد على محصول واحد ، ترتكز عليه دعائم ثروتنا القومية ، فإن أصاب هذا المحصول حظا من الرواج انتعشت ماليتنا ، وإن لم يصب رواجا استهدفنا لأخطر الأزمات ، فكنا والحالة هذه أسرى للظروف التى تحيط بمحصولنا الذى عقدنا عليه كل الآمال .

ولا شك أن تنويع الحاصلات الزراعية يعد خطوة موفقة فى سبيل تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، لأنها ستفتح أسواقا جديدة لإنتاج جديد ، كما إلى عهد قريب نهمل شأنه وننصرف عن العناية به ، رغم حاجتنا إليه .

كما أن هذه الحاصلات ستدعو إلى قيام الصناعات الزراعية ، ومن عجب أن تهمل مصر هذا اللون من الصناعة وهى بلد الإنتاج الزراعى الوفير ، إهمالها للثروة الحيوانية التى لو عنى بها لكانت موردا من خير الموارد الاقتصادية ؛ والذى نأمله أن تستغل هذه الثروة المقبورة ، وأن تجد الصناعات الزراعية من رجال الزراعة ما يساعد على انتشارها وازدهارها .

ومما يزيدنا تفاؤلا بمستقبل مصر الزراعى مشروع الإقطاعيات الزراعية ، والاستعانة بسواعد الشباب من خريجى الزراعة فى استغلال الأراضى البور للاستفادة بها ، ولا ريب أن نجاح هذا المشروع الجليل يحقق أغراضا كثيرة ، إذ يفسح مجال العمل الحر أمام الشباب ، ويوجههم وجهة صالحة فى ميدان الحياة العملية ، ويفيد البلاد بإصلاح هذه المساحات الشاسعة من أراضيها للانتفاع بخيراتها ، وتحويلها إلى أراض زراعية صالحة .

ومن المسلم به أن هذه الحرب التى شنها رجال الصحة ورجال الإصلاح الاجتماعى على الجهل والفقر والمرض ستنقذ الريف ، بمرور الأيام ، من هذه الآفات الاجتماعية الخطرة وستنقذ الفلاح من براثن المرض والضعف ؛ فتخلق منه رجلا قويا سليما ، يقبل على العمل فى عزم ونشاط فيتضاعف إنتاجه ، وشتان بين عامل حطم المرض قواه ، وسلبه نشاطه ، وهدم بنيته ، وبين عامل تملؤه الصحة ويغمره النشاط .

ومن المرتقب أن تنهج الأمم نهجا جديدا فى تبادل الحاصلات الزراعية ، وأن تتبع سياسة دقيقة فى تنظيم توزيع الأغذية ، على أساس حاجة كل فرد ، ولقد دعت أمريكا فى العام الماضى ، ممثلى الأمم إلى " مؤتمر الأغذية الدولى " الذى عقد لهذا الغرض ، وكانت مصر من بين الأمم الممثلة فى المؤتمر .

وأما من ناحية التجارة ، فإن كانت الحرب قد جنت على بعض أنواعها ، فشلت حركتها وسببت كسادها لانقطاع الوارد منها ، إلا أنها من ناحية أخرى قد أخذت بيد سلع أخرى فرضتها ظروف الحرب ، ووجهت شطرها الأيدى العاملة . ولانقطاع الواردات أثره الظاهر الملموس فى حركة التجارة الخارجية والداخلية ، بسبب تعطل الملاحة ، واقتصارها على نقل المؤن الحربية والذخائر والجند .

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الصناعة ، ولطالما نادى المفكرون وقادة الرأى من رجالنا الاقتصاديين بضرورة العمل على إحياء الصناعة فى مصر بجانب الزراعة ، تحقيقا للتعاون الاقتصادي ، وتوطيدا لدعائم ثروتنا الداخلية ، إذ لا غنى لقطر من الأقطار عن الزراعة والصناعة معا ، فهما الساعدان اللذان تعتمد عليهما الدولة فى ماليتها ، فالزراعة ثروة لا يستهان بها ، ولكن لابد لهذه الثروة من يد تحولها إلى إنتاج يمكن الاستفادة به ، فلا قيمة للقطن مثلا إذا لم تقم بجانبه صناعة الغزل والنسج ، ولا قيمة لمحصول من المحاصيل الزراعية إذا لم تقم بجانبه الصناعة التى تهيئه للاستهلاك .

وظلت مصر حقبة طويلة من الزمن تعتمد فى استهلاكها الداخلى على الواردات الصناعية الأجنبية . فلما اندلعت نيران الحرب القائمة ، وانقطعت عن أسواقنا هذه الواردات ، أحسسنا بعظم حاجتنا إلى كثير من حاجيات المعيشة ، وعانينا متاعب جمة فى الحصول على الضروريات ، فلمسنا مبلغ خطئنا الأول وإهمالنا شؤون الصناعة ، ولعلنا آمنا اليوم — بعد أن عضتنا الحاجة بأنيابها — بضرورة العناية باحياء الصناعات فى مصر ، والنهوض بها .

ولقد أرغمتنا ظروف الحرب ، ووطأة الحاجة ، على إحياء بعض الصناعات الصغيرة التى أمكن قيامها فى هذه الظروف ، فوجه فريق كبير من العمال المصريين عنايتهم إلى ملء هذا الفراغ الواسع ، فوفقوا إلى حد ما فى إحياء ألوان مختلفة من الصناعات ، لا نشك فى أن الأمل كبير فى ازدهارها وتقدمها ، إذا لاقت إتقانا من الصانع ، وتعضيدا من المستهلك .

اتسع بذلك مجال العمل أمام العامل المصرى ، وتفتحت أمامه آفاق جديدة ، مما شجع الكثيرين على مزاولة الأعمال الصناعية ، وإيثارها بجانب غير قليل من عنايتهم ، ولكنهم يفتقرون إلى رءوس الأموال التى تمكنهم من النهوض بها ، وخير معونة تقدم لهؤلاء العمال إنشاء بنك صناعى ، يمدهم بسلفيات مالية ، تسدد على أقساط سنوية ، بفائدة بسيطة ، بعد دراسة كل مشروع يقدم إلى البنك الصناعى والتأكد من نجاحه ، وإشراف لجنة حكومية على جميع هذه المشروعات الصناعية .

ولقد تضمن خطاب العرش للدورة البرلمانية الحالية ، وعدا بإنشاء بنك صناعى لهذا الغرض ، ومتى تم إنشاء هذا البنك أصبح من الميسور إحياء الصناعة فى مصر والنهوض بها ، وفتح ميادين جديدة أمام الشباب .

لقد أتاحت لنا الظروف الفرصة لاحياء الصناعات الضرورية ، فيجب أن نستفيد من هذه الظروف ، ونغتنم الفرصة قبل فواتها ، فإن أخشى ما نخشاه أن تندثر هذه الصناعات

الناشئة بعد انتهاء الحرب ، فتموت فى مهدها ، وقد لاتتاح لنا فرصة أخرى لإحيائها وبعثها من جديد .

إن فى مصر ثروات صناعية مقبورة ، يمكن الاستفادة بها لو أحسن استغلالها .. عندنا من الثروات المعدنية الشيء الكثير ، فلماذا لا نستغل هذه الثروات ، ونستفيد منها ؟

إن قيام الصناعة فى مصر ضرورة من أهم الضروريات الاقتصادية ، ولقد لمسنا عاقبة إهمالنا طول تلك الحقبة من الزمن ، فيجب أن نعتبر ، وأن نتدارك أخطاء الماضى فنقبل على تدعيم مشروعاتنا الصناعية ، وهاهى الظروف تعاوننا ، وتساعدنا ، وتفتح أمامنا آفاقا جديدة ، وهاهى ذى شركاتنا الصناعية تسجل نجاحا مطردا فى أعمالها ، تنطق به تقاريرها السنوية وميزانيتها العامة ، فالأحرى بنا أن ننهض بالصناعة نهضة تكفل لها البقاء والنمو والازدهار .

ومن الوفاء ، ونحن بصدد الحديث عن نهضتنا الصناعية ، أن نسجل للمغفور له محمد طلعت حرب باشا أياديه البيضاء وجهوده الصادقة فى إعلاء صرح هذه النهضة المباركة وتوطيد دعائمها ؛ فهو أول من غرس بذورها ، وتعهدها فى مهدها حتى نمت ، وأينعت ، وآتت أطيب الثمرات .

نعود بعد هذه الجولة السريعة فى ميادين الاقتصاد فنتطلع إلى المستقبل الباسم ، وقد بدت طلائعه وأشرقت بشائره ، يملأ صدورنا الأمل ، ويحفزنا الرجاء إلى استكمال مجد مصر .. مصر التى كانت ... ومصر التى ستكون !

عيسى متولى